الضياء
بهرا
العدد ٥٢١ - الاحد ٢٤ كانون الثاني ٢٠١٠م -٦٧٥٩ آ
Bahra No 521. Sun. 24 Jan 2010

خلاصة الشعر

Sabah_alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

تمنى ابنتاي ان يعيشَ ابوهما
وهل انا الاّ من ربيعةَ او مُضَرْ
فإنْ حانَ يوما ان يموتَ ابوكما
فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شَعَرْ
وقولا: هو المرءُ الذي لا حليفَه
اضاعَ، ولا خانَ الصديقَ ولا غدَرْ
الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبكِ حولا كاملا فقد اعتذَرْ

هذه الابيات لاحد شعراء المعلقات لبيد بن ربيعة العامري. وكنيته ابو عقيل.

شاعر نجدي بدوي وهو من الشعراء المشهورين المخضرمين ممن عاشوا في الجاهلية والاسلام، وعمّر كثيرا واختلف في عمره حتى اوصله بعضهم الى مائة وخمسين عاما، وقيل انه توفي سنة ٤١ هـ.

وكان يقال لابيه "ربيع المقترين" لجوده وسخائه اي انه كالربيع للفقراء والمساكين في الكرم والاطعام. وكان لايرغب بالاظهار واذاعة شعره حتى قال قصيدته "المعلقة" التي مطلعها

عفت الديار محلها فمقامها
بمنى تأبد غولها فرجامها

قال للناس: اظهروه بمعنى انشروه واذيعوه. لانه تأكد في هذه القصيدة من انه قال شعرا يستطيع به ان يفوق او ينافس غيره من الشعراء.

والمعلقة مبنية على منهج القصيدة الجاهلية وتسلسل موضوعاتها واغراضها من وصف الاطلال الذي استهل به القصيدة الى الغزل الى وصف الرحلة الى الغرض الاساسي الذي تنشده القصيدة.

اما لغته فهي لغة بدوية ولايستطيع قارئ شعره او معلقته على وجه الخصوص ان يستوعب افكارها او يفتح مغاليق كلماتها الا باستخدام المعجم اللغوي.

والكثيرون لايعجبهم شعر لبيد لانه كثير الابهام وصعب على الافهام والناس تميل الى السهولة وتبتعد عن كل ما يوجع الرأس ومثل هذا الشعر هو حصة اصحاب الاختصاص ممن لايشكون ولا يتذمرون بل يشعرون باللذة والمتعة في فك وتحليل مثل هذه الطلاسم.

مرّ لبيد على مجلس من مجالس الكوفة وهو يتوكأ على محجن "عصا". فبعثوا اليه رسولا يسأله عن اشعر العرب فقال: الملك الضليل ذو القروح يعني امرأ القيس. فقالوا: ثم من؟ فقال: الغلام المقتول من بني بكر يعني طرفة. فقالوا ثم من؟ قال: صاحب هذا المحجن، يعني نفسه.

وهذه نظرة نقدية خاصة لاتقوم على منهج ثابت، وهكذا بدأ النقد ذاتيا، فلم تكن النظريات النقدية قد عرفت بعد. ونجد مثل هذه الاراء النقدية الفردية مبثوثة في كتب الادب. وكما لشاعرنا رؤية نقدية في غيره فهناك من له رأي في شعره، فقد مر الفرزدق بمسجد وعليه رجل ينشد قول لبيد

وجلا السيول عن الطلول كأنها
زبرٌ تجد متونها اقلامها

فسجد الفرزدق، فقيل له ما هذا يا ابا فراس؟ فقال: انتم تعرفون سجدة القرآن وانا اعرف سجدة الشعر. وفي هذه الرواية نظرة نقدية من الفرزدق في جودة شعر لبيد وهي نظرة فردية ايضا فهل يستحق شعر لبيد مثل هذه السجدة.؟

والابيات المتقدمة قالها لبيد وهو يحس بالموت بعد ان تقدم به العمر وفيها يخاطب الشاعر ابنتيه ورغبة هاتين البنتين في عيش ابيهما ومن حقهما ان تتمنيا هذا "جاء الفعل تمنى ابنتاي واراد تتمنى ابنتاي" ولكن لبيد كان واعيا للنهاية الحياة فقال "وهل انا الا من ربيعة او مضر" وليس المقصود هنا القبيلة ولكن المقصود جماعة البشر بمعنى ان الشاعر يؤمن بحقيقة الموت فهو حق عليه كما هو حق على كل البشر ولا تستثنى من ذلك قبيلتا ربيعة او مضر على قوتهما وعديدهما.

وهو يحذر بنتيه في حالة الموت من خمش الوجوه وايذاء النفس او حلق الشعر "وحلق الشعر حزنا من العادات التي لازالت سائدة في بعض مجتمعاتنا العربية" ولكن عوضا عن هذا اذكرا اباكما بالخير وانشرا صفاته فهو لاحليفه اضاع "هذا تقدم المفعول به على فاعله" ولا خان الصديق ولاغدر بأحد وهذه هي صفات الرجال الفرسان، ثم الى الحول اي ابكيا حزنكما الى مدة سنة "وهذه عادة لازالت سارية الى يومنا هذا في بلدنا وربما في بقية البلدان" وعلل ذلك في "ومن يبك حولا فقد اعتذر". اي يكفي ان تحزنا سنة ولكما السلام.

ساحة الطيران

الجزء الثاني

يوناذم بنيامين

الوقت راح يرتطم بأعمدة جسر الاحرار فاذا المياه على لوحة فندق حسيب وحتى حديقة نواب الضباط، تبللت كرات الدومينة، واختلفت جائزة -ستوبل- فكان المحاسب قويا عندما وضع في عبه رقم "٣٠" مرت الحافلات ووصلت المنصور ولم يطرأ اي تغيير على نمط اللعبة. فتأجلت الى الاربعاء القادم وبـ"٧٠" دينارا لان السبت كان سعره "٣٠٠" فلس.

وراحت الرياح تسرق من برودة الاورزدي باك والتبريد الذي يطلع من خاصره "العم شارع الرشيد" وتوزعها على المحلات "وياليت.." ولكن ما في اليد حيلة، عندما طارت حمامات فائق حسن. وحطت البقة بين اكوام "الجوانيج والطقماغ" الكبير وبين مواعين التبغ والفرش المتنوعة للاصباغ في ساحة الطيران وعربات الكتكات التي تملأ وقت العطلة الربيعية "نصف السلة" من كل المحافظات من شبان يريدون ان يغيروا قماصلهم العتيقة البالية، بأخرى نصف كشخة، لقد اقتنيناها ورحت في سوق اللوش وبرياطلي الذي اقتنه من اخي العائد من لبنان ولهذا كان يحسدني طلاب الصف الثالث المتوسط شعبه "أ" صديقهم يزتق نفسه مثل مدرس اللغة العربية "العاصي علينا" لتكافه في النحو والكلمات الرائعة المرتجلة في ساحة المدرسة عند الضرورة.

وراح الوقت كأرنب مذعور في بستان البطيخ قرب دير ما قرداغ خجولا تحت اقدام الجبل وأصدام التالوس الذي رجع ثانية بعد ان اقلعت الحروب "للاخوين السلاميين المشير" عبد وشقيقه لا حول ولا قوة "ماء تحت التبن" وبالصلوات وابانا في السموات والسعانين الى قبته وقد رجعت "بضاعتنا الينا سالمة غانمة" الى ديار تحت صليب الربان هرمز والشهيد الذي يحمي الجبل والسهل والحقل والكروم، والا لماذا في كل بيت من اللوش "يوجد هرمز" ويطلع راهبا، قسيسا، مطرانا، سفيرا، مهندسا زراعيا مثقفا واعيا مدركا..

في ساحة الطيران يلتقي ابن العمارة ودهوك والسليمانية والانبار وعين سفني وباطنايا والمحمودية وعينكاوة، وطوزخورماتو والكيف وابن المنصور بالحمدانية وقره قوش، وزاخو والخابور بالمجرة والشطرة وشيخ سعد والمثنى والديوانية وحتى شط العرب والقلب يكبر بالحب الدائم لهذا الوطن الذي عشقناه وفي الثالثة ظهراً ندخل "انا وزهير بردى" مطعم كبة الكبة ونرشها بالصاص والكجب، ثم ناتي بالسكين ونجطها "اونكات" كأننا نطبع نسخة من ورقة الطابو العريقة ونقطعها كأنها تقاسيم على عود منفرد للرائع منير بشير من هناك فتشنا كيف نتعلم الاسبانية في اسبوع والافريقية في ثلاثة أيام ورحنا انا والبازي الخالد "صديق ومدير مدرسة في اليوسفية" نقرأ كيف نتفاهم مع اهل اسطنبول واولها "قارداش" عندما فتح الكتاب ونحن باتجاه الدورة والتفت الي ونحن في سيارة الاجرة.. قارداش يعني اخي والسائق ينظر اليه مع الابتسامة "والله رايحين لتركيا" كم يوم على ما موجود في الجيب "المهم تغيير الاجواء" ضرورية للتربوي وبعين العطف رأيت اسراب النوارس تطير عاليا "فوق منزل - فوزي كريم الذي ترك محلة العباسيين خلف بناية "المجلس الوطني" الذي كلما اخرجنا ربع دينار لشراء حاجة ما، فتحنا ابواب المجلس وطارت العصافير من اقبائه الخالية تقريبا وقت الظهيرة من البشر، لجل الذي ارتضى ان يكون الكليزيا من كرادة مريم في المدن الضباب والغربة الممزوجة بالكشخة والحسرة للوطن البهيج، رافعين ايدينا فوق جسر الاحرار - للصياد الهرم ابو عبد، جارنا في الكريمات منذ زمان.

رويدا رويدا اهبط من مدرجات الجسر قرب وزارة التخطيط قبل "المنع" والتبغ وازالة روحية الجسر والمدرج وندخل بيوت الايجار، حتى اسواق العبيدي راسا الى عقل جسر الاحرار حيث كشك ابو علاء لبيع الباج للفقراء والمحلات التي كانت "وافتها" لا ثلاجة فيها والبيوت لاثلاجة فيها سوى "القلين" ابو الكلوب يعني "المصباح" كما كان يسحبها ابن عمي كلما جاء الينا من الكيف وهو يقول اشتروا الحب الكبير - ومنه يصير الشاي الطيب.

ومن هنا اتذكر حلاقة يونان خلف جامع الشاوي الازلي الباقي والذي يشم رائحة الاكلات البغدادية من فندق بغداد الشامخ على ذراع دجلة ينظر الى الباب الشرقي واورزدي باك، وبيت عبد الرحمن النقيب كما يقولون..

وتبقى ساحة الطيران، ترحب بالقادمين من كركوك، والذاهبين الى الموصل والذين توا وصلوا من الكوت والعمارة وحتى البصرة الفيحاء.

"الدنيا حقا دوارة" وساحة الطيران قطعة من ذهب وعلم عال وذكرى منديل وصافرة قطار ورائحة الهيل الممزوج بكل الاكلات والكلام الجميل والاخوة الصادقة تبقى ساحة الطيران -الام والاب والرسالة الخالدة.

عبد الله نوري الياس

ذاكرة الاسئلة

الوطن واحة
وحلمك اسمر
وقلبي طير سنونو
لو حط
على غصنك
يتمايل
عيناك سفر من الامال
وصمتك الزعلان
وجع الكتابة
حين ادغدغه
ينفعل
لمن هذه الاكاليل تحترق
بطبيعتها النرجس
والنعناع والازل
الشعر رنتي
وانت حمامتي
وجمالك بدر
حين اقبله
يكتمل
انا ما جئت اليك
نازحا او مخاتلا
لكن شاء الحب
ان اكون بين
يديك سموألا
لاشيء يبعدك
فمداري فمك
وفمي خلف مداك
يرتحل
سرب من العصافير
مر بذاكرتي
وانت فوق عواصف
الكون
بلبل
زمنا وهواك يداهمني
امر على نارك خجلا
وشعري من فرط
جنونه
يحتفل
قسما برائحة الفراتين
لو تعلمين
كيف نبضك
الى السرير
يتسلل
هذه بلادي
اجتاحها الجراد
لكن رغم جرحها
حبها بنخيل العراق
يكتحل
وهذه جل اسئلتي
تحوم فوق زرقة
الاله
وعشقي بهواك
يقتبل
الحلم شدوي
وحلمك رزمة
من الاهات
حين تستغيثني
تصيح وتسأل
قرأت في عيونهن
كل قصص الغرام
لكن في عينيك
رأيت شيئا يختلف
الارض دون الشمس
ميتة
وأنا دون همسك
وطن مقفل

حلم

سناء غضبان جابر

ويوم اتيتَ
للمرة الاولى
تُغنى بخطوك بيتي
بنظرةِ خوف وحسرة
شعرت اني وحيدة لديك
واحسست اني شريدة الزمان
واني مهما تقربت منك
سابقى بعيدة المكان

***

وحين بدأتُ سلامي
اجلس... قلتها
جانبي او امامي
كلام على شفتيك
يريد اعتناق كلامي
فمن قد تكون لدي
... من اكون لديك
وقلبي بين يدي
يفر لدفء يديك
فحيث في الشجون ثرى
... ترى من اكون لديك؟

***

وناديت رغم البعاد اسمك
واسمك اسمي
كصيف يحن لظل سحابه
سأجمع كل حروف الكتابة
فليتك ادركت معنى هيام
ولكن اتقى الغرام
اذا ما تغنى الكناري
وسط الدجون
بذاك الغرام
وليتك مثلي حلمت
بأنك يوما اتيت.

الشعر الجاهلي قيمة جمالية....

نبأ باسم رشيد

ان الشعر قيمة جمالية يعتمد على عذوبة الموسيقى وجمال الصياغة وحلاوة النغم وقوة التعبير وتسلسل المعنى وليس من الشعر الجيد ما تضمن اللفظ الغريب والبناء المتنافر وما تضمن الزحاف الثقيل والنغم المتخلخل، وكل ما يخالف اصول الصياغة العربية لغة ونحوا وعروضا وقافية.

اما من يرغم ان الشعر الجاهلي قائم على الطبع وسواه قائم على الصنعة فليس نصا قاطعا في الصحة والاستقامة، بل هو قابل لان يكون صحيحا كما هو قابل لان يكون خطأ ومثل هذه الحقائق توجد بشكل اكثر سطوعا في الشعر عنه في اي فن اخر بل ان الطبع يتوفر في الشعر العربي العباسي اكثر منه في الشعر الجاهلي، بغض النظر عن كون هذا الطبع اصليا او مكتسبا لان الشعر هو الوجود بالفعل - كما يقول الفلاسفة- للحقائق والمحركات الكبرى في الحياة، والسبب في ذلك ان الشعراء في العصر الجاهلي اعتمدوا في شعرهم على الطبع الذي تحكمه الممارسة ولم يصقله التهذيب في احيان كثيرة، فكان الشاعر الجاهلي بدويا والبدوي يمتلك الطبع من دون شك ،ولكنه يملك الطبع من دون شك ولكنه يملك كذلك الجرأة على مخالفة والتغلب من النظام والخروج عن النهج المألوف الا ان القصيدة تحدث قدرا هائلا في نفس الشاعر مجرد ان تلمع شرارتها الاولى داخل وجدانه ،هذا اذا افترضنا ان الشعر الجاهلي وصلنا سليما معافى كما خطه اصحابه في درجة عالية من الوعي واليقظة والاستبصار، ولكن نعلم ان الشعر الجاهلي دخله التصحيف والتحريف والزيادة والنقصان والمخالفة في الترتيب والكثير من الخلط التشويه ولا يعني هذا انه ليس في الشعر الجاهلي ما يستسيغه الذوق وتحبه النفس ويتسق مع قواعد الجمال الفني واصوله ولاننكر ان في الشعر الجاهلي شيئا من ذلك لان الشاعر ذلك استطاع ان يعطي الروح الكاملة النقلية في معنى شامل وقيمته كلية تتداخل فيها العلاقات بين الحواس والمشاعر والصور جعل هذا الشعر يكتسب استقلالا ذاتيا ووحدة عضوية لها قيمة جمالية ولاشك ان المصطلح لديوان العرب بفراسة الاحساس يدرك الغث من السمين.

على طريق الابداع

أينَ المفر

ناظم هرمز جكو

في أية بقعة من الأرضِ
ترغبينَ أن أسافر معك.
كي أخفيكِ من نظرات كل النساء
لأنكِ في القلب تسكنين
وأنا هائمٌ بحبكِ صباح.. مساءً
فوجهكِ الجميل يسحرني
ونبرات صوتكِ تسكرني
وحينَ ترمقيني بنظرة..
وارتعد من سهم عينك الحوراء
كوني لي رفيقة الدربِ..
وكوني لي رسالة حبي
كي أراكِ دوماً بقربي...
فلمسة يدكِ الحنون أصبحتِ لقلبي دواء
أنت سمائي.. وأنتِ غيمتي ومائي
فأمطري من الحبِ غيثا
فكلماتي لا تكفي
حين أقيم الصلاة وأزف لك الدعاء
أتذكرين حينَ التقينا...
حينها شبت نار الحبِ بقلبي
فلم تنطفئ، وان غمرتها
وان غمرتها
وسقيتها. بكل الأنهار
فلم تنطفئ
ألا بما ينزل من العين.. دمع وماء
فأنتِ حبي وأنتِ سعادتي
لأجلكِ أترك ديني
ودنياي واليك أقدم الولاء

جلد الذات: تصحيح لمفهوم عربي خاطئ!

أ.د. سيار الجميل

مائة سنة من غيبوبة النقد

ليس هناك من ثقافة في هذا الوجود، يهرب أصحابها من الاعتراف بأغلاطهم كما هو حال الثقافة العربية! ليس هناك من ثقافة في الدنيا قد اخترعت لها سبلا لتكريس الأخطاء وتبريرها كما هو حال ثقافتنا اليوم! ليس هناك من ثقافة في كل هذا العالم تحرّم النقد، وتستهجن أصحابه، وتلاحق رواده، وتحاكم من يمارسه إلا هذا الذي نجده في ثقافتنا.. بحيث بدأت السلسلة برجل مثل طه حسين في بدايات القرن العشرين.. وزادت مع توالي الأيام والسنين حتى يومنا هذا، لنشهد تشويه سمعة، أو تكفير دين، أو تعزير مذهب، أو تهميش نخبة.. كالذي نجده في ثقافاتنا كلها! ليس هناك من ثقافة متيبسة يعيش أصحابها بخوف ورعب.. ولا يشعرون بأي نوع من الحريات، كما هو حال ثقافات عالمنا الإسلامي بطوله وعرضه! إن من أسهل الطرق والوسائل التي ابتدعها العرب أن يقطعوا الطريق على أي نقد للسياسة والواقع، للدولة والمجتمع.. للتاريخ والذات بإطلاق مقولة "جلد الذات" من دون أن يفقهوا أنهم بعملهم هذا يستمرئون الأخطاء، ويحافظون على والعهم الرديء.. إن أي خطوة إصلاحية أو إجراءات تحديثية، أو تغييرات جذرية.. لا يمكنها أن تتم من دون ممارسة النقد بأنواعه، وبشكل صريح وعلني وجريء وواضح.. وإن النقد الحقيقي لا يحتمل المجاملات ولا الاشكاليات ولا اللف ولا الدوران، بل ازدادت قيمة النقد اليوم بأساليبه ومدارسه واتجاهاته.. ومهما كان النقد سالفا بتحليلاته، ومشخصا بتفكيكاته، ومصيبا لأهدافه.. كان موضع اهتمام وتقدير، خصوصا، إذا تناول الذات وغيرها من كل أدرانها.. والنقد الحقيقي لا يفرق بين الثوابت والمتغيرات، فإن كان هناك أي خلل او نقص او مثلبة او خطأ.. فإن الناقد الحقيقي يلزم بتبيان ما يجب عمله او فعله، سواء من خلال المعلومات والمعرفة، او من خلال العقل وتبيان الرأي ووجهات النظر.

الناقد الحقيقي.. متهما!

لقد أصبح الناقد الحقيقي في ثقافتنا متهما بجلد الذات إن مارس أي نوع من التقييم الحقيقي الذي يعرض المشكلات، ويشخص الأمراض، ويفكك الالتباسات، ويعري كل من الواقع والتاريخ.. أصبح متهما بشتى التهم كونه لا يمالئ من رضي بكل الأسقام كيلا يقال أن مجتمعاتنا لها سيرورتها الخاطئة.. وكيلا يقال أننا "أمة" تتضاحك عليها الأمم الأخرى! وكيلا يقال أن هذا طعن يستفيد منه الأعداء.. وكيلا يقال أن كل ما نشهده من ظواهر اجتماعية أو حركات سياسية أو قيادات أنظمة حاكمة.. لابد لها أن تتغير وتتبدل! أصبحت ثقافتنا العربية المعاصرة متيبسة وقد افتقدت نخبة من النقاد الحقيقيين الذين يمكنهم أن يكونوا صرحاء وأقوياء ولا تأخذهم في الحق لومة لائم.. لقد غدت الثقافة لا تعبر عن أي تجديد او أي حلبة للتغيير الواقع المخشي الذي ترهلت فيه كل مجتمعاتنا..

متى ولد مصطلح "جلد الذات" عربيا؟! ان مصطلح "جلد الذات" ولد عربيا في غفلة من الزمن التعيس قبل أربعين سنة، ولا يعرف إلى حد الآن من الذي أطلقه ضد كل من ينتقد الواقع العربي كونه لا يريد الاعتراف بالهزيمة!! لقد كانت الهزيمة التي مني بها العرب عام ١٩٦٧ أمام إسرائيل، قد سحقت الأمنيات العربية، وأوقفت الإرادة الثورية التي تغنى بها العرب ردحا من السنين، كما تراجع المشروع القومي العربي عن حضوره.. وكانت الصدمة تكشف رد فعل تاريخي قوي تتمثل برفض كل ما كان عليه الواقع المهووس بالشعارات والأكاذيب.. بدل النكوص أو الهروب أو الخروج بمفهوم صيغ خصيصا من اجل إجهاض أي بديل واقعي وعلاجي! وبدأت الثقافة العربية مرحلة جديدة فيها كل التراخي والضعف حتى بدأ الاستلاب يأخذ مداه بتراجع المد القومي وبروز التيارات الدينية التي أخذت تساهم إيديولوجيا لملئ الفراغات، ليس في تغيير الواقع، بل الإبقاء عليه والبناء فوقه. لقد تكرس مفهوم "جلد الذات"، وأخذ صفة قبيحة جدا، بحيث أوقف كل النقاد عن ممارسة أدوارهم في تعرية التناقضات، وكشف الموبقات، وتشخيص الداء.. والمطالبة بالتغيير الجذري بعد معالجة كل الأدران والقضاء على كل الأمراض.

معنى "جلد الذات" في الثقافات الاخرى

إن "جلد الذات" لم يزل مصطلحا يستخدم في ثقافات أخرى، ومنها في الانكليزية، إذ تجده في معظم القواميس والمعاجم والانسكلوبيديات هو 'Self-flagellation'، ولكنه يستخدم لا كما يستخدم في الثقافة العربية.. انه يعني بدقة: عقاب الإنسان لنفسه ضمن أشكال مختلفة منها: الضرب أو الحزن أو الإفراط في البكاء، أو اللطم، أو إيذاء الجسم باستنزاف دم.. الخ تعبيرا عن تكفير أو غفران أو تعويض أو ندم أو اعتراف أو تطهير أو توبة أو قصاص أو وخز ضمير، أو تأنيب وجدان ، أو تورع ذاتي 'self-castigation'.. الخ. فثمة تجارب لإيذاء النفس لدى شعوب مختلفة سواء في تايوان والصين والهند والباكستان وإيران والعراق ولبنان وبعض مجتمعات أوروبا.. الخ وقد تصل الصور والأفلام والمناظر الحقيقية عن أناس تمارس جلدا وتعذيبا لذواتها إلى درجة مقززة من المشاعر المؤذية.. بحيث تصل درجة القسوة إلى تربية الأطفال الصغار على مثل هذه الممارسات الدموية.. وأتمنى أن يراجع القراء الكرام كل المعاجم والقواميس الأجنبية للثقافات أخرى، كي يجدوا المعنى الحقيقي لمصطلح "جلد الذات"، فهو تفسير مطور للإنسان في إيذاء نفسه وجسمه.. ولا يأخذ المصطلح أي مفهوم فكري أو نقدي أو دعائي.. كما أصبح يجري في الثقافة العربية منذ أكثر من أربعين سنة، أي منذ العام ١٩٦٧ وحتى يومنا هذا.

النقد الحقيقي أساس الاصلاح والتغيير

كثيرا ما يتهم العديد من النقاد والكتاب أنهم يمارسون جلدا للذات.. وكثيرا ما يأتي ذلك على لسان أناس لايقبلون بالرأي أو الفكرة، فاستخدامهم لمثل هذا المصطلح عندهم، أو في تفكيرهم، هو بمثابة التهمة التي توجه للنقاد كي يسكتوهم.. وكأنهم ما داموا يمارسون جلدا للذات، فانهم يطعنون بالذات المقدسة شبيهة بالآلهة التي لا يمكن لأحد من انتقادها!! إنهم لا يدركون أن النقد الحقيقي لا يعرف الشدة أو الارتكام.. إنهم لا يدركون أن ليس هناك مجموعة قيم ثابتة ستبقى منزهة عن كل الآفات والأمراض.. إنهم لا يدركون أن واقعنا قد وصل إلى ما وصل إليه جراء العدم أي ممارسة نقدية، سواء موضوعية كانت أم ذاتية.. ففي ثقافتنا، لا تعرف ممارسة أي نوع من النقد الذاتي، وتشخيص كل إنسان لمثالبه كي يعالج أخطاءه، ويصحح تصرفاته.. فإن كان الوضع هكذا لدى المسؤولين والساسة والمثقفين وكل أبناء النخب القاطعة، فما الوضع الذي سيأتي إليه المجتمع؟ وما الحال التي ستصل إليها مجتمعاتنا مع الأسف؟ إنني أخاطب كل أولئك الذين يستخدمون مثل هذا المصطلح "الذي غدا مفهوما" في الثقافة العربية: هل بمقدوركم أن تفصلوا بين ما تشاهدونه من مشاهد مؤذية لبشر يؤذون أنفسهم بشتى الوسائل والوسائط سواء كان ذلك تقربا من الآلهة، أو تفاخرا على الناس.. وبين نقاد ومفكرين يمارسون مهامهم الحقيقية في كشف ما لحق بمجتمعاتنا من أدران، وما حلّ بثقافتنا من اوصاب، وما حل بسياستنا من همجية.. بل وما حل بإعلامنا من تهتكات؟ هل بمكنتكم أن تميزوا بين هكذا حالات برؤية حيادية وإنصاف كبير؟ هل بمكنتكم التفكير بما يقوله الناس، كل الناس، عندما يتمتعون بالحريات الشخصية والفكرية والسياسية؟

كيل بمكيالين

إن اغلب من يستخدم مثل هذا "المفهوم" الخاطئ في ثقافتنا العربية إنما يكيل بمكيالين.. فهو يتقبل كل النقد الذي يمارس ضد الأنظمة السياسية والحكام العرب -مثلا-، ولكنه لا يتقبل أن يسمع نقدا او يقرأ رأيا مخالفا للأحزاب السياسية أو الإيديولوجية التي يؤمن بها! انه يرضى أن تمارس كل الدعايات ضد هذه الدولة أو الحكومات، ولكن لا يتقبل قراءة أي نقد للمجتمعات والشرائح الاجتماعية، وكأن مجتمعاتنا ملائكية.. علما بأن للمجتمعات أخطاء كما هو حال الحكومات والدول والأنظمة السياسية! إن إرهابيا أو مجموعة من الإرهابيين لا ينتقدون أبدا على أفعالهم الشنيعة.. ولكن ينتقد الكتّاب والروائيين والنقاد على أفكارهم وتصويراتهم.. إنهم لا يصادرون الهذيان الذي يطلقه بعض من احتكر الدين لنفسه، أو احتكر الإعلام لذاته، أو احتكر السلطة لحاشيته.. وما يمارسه هؤلاء من أفعال مشينة.. ولكنهم يتهمون النقاد والأدباء والشعراء والفنانين بجلد الذات.. إنهم لا ينتقدون الحكومات وصناع القرارات، ولا كل المنافقين والدجالين والمصفقين والمهوسين على ما يمارسونه بحق مجتمعاتنا من إضرار ومصائب.. ولكنهم يلاحقون صناع الكلمة والرأي والموقف على ما يكتبونه أو يقولونه أو ينشرونه..

وأخيرا: كلمة للاجيال القادمة إن تعميم النقد لا يعني جلدا للذات.. وإن نقد الثوابت لا يعني جلدا للذات، فإن هناك من الثوابت التي أضرت بحياتنا ومصيرنا.. وستبقى حجر عثرة في سبيل التقدم والرقي.. بل ان هناك جملة من بدع وطقوس لا تمت الى الاسلام مثلا بأية صلة، تجد الناس يتبعونها جيلا وراء جيل.. من دون ان يفكروا بمضارها وعدم تساوقها مع الحكمة والعقل. إننا لا يمكننا أن نغطي على حالة دون أخرى، فالكل يعرف كم هي قدرة مجتمعاتنا على الإبداع والإنتاج، وكم هي منسحقة ومعطلة القدرات! والكل يعرف العوامل الداخلية والخارجية التي سحقتها؟! ولكن لا يريدون إظهار أنفسنا إمام العالم بالعجز والشلل.. ويريدون أن يظهروا أمامه أقوياء وعظماء علما بأن العالم كله يعرف درجة رقي كل مجتمع ومستوى قوة كل دولة! لا يريدون أن يسمعوا بأنهم قد تخلفوا عن ركب العالم، وإن قال مثلا احد لذلك اتهموه بـ"جلد الذات".. طيب، ما الذي تريدونه من أنفسكم؟ لا تريدون نقدا للذات.. لا تريدون نقدا للموضوع.. لا تريدون الاعتراف بالخلل.. هل نكذب على أنفسنا دوما؟! هل نبقى نكذب على بعضنا بعضا؟! هل نبقى نصفق لبعضنا بعضا نفاقا ورياء؟! إنني أخاطب الأجيال الجديدة لأقول لها: إن مفهوم جلد الذات خطيئة عربية ترتكب بحق ثقافتنا ومثقفينا ومبدعينا.. اتركوهم حتى تتعلم الأجيال الجديدة كيف يتم وخز الضمير.. اتركوهم حتى يعملوا على إنعاش الذات بعد أن تستهدي بكل الوسائل الخيرة من اجل حياة جديدة..

اتركوهم حيث يؤدون أدوارهم من اجل الإصلاح الشامل والتغيير الشامل! اتركوهم بلا أوهام، وبلا شعارات، وبلا أكاذيب وادعاءات.. كي يعملوا على إنقاذ ما يمكن إنقاذه! اتركوهم أقداما على أنفسنا، كي نعرف الحقائق بلا أية تصيصات أو تغطيات تحت مسميات مفهوم افترضوه وزرا وبهتانا، وسميتموه بـ"جلد الذات"!.